دوافع صدور وعد بلفور

قادة دين، طالب دكتوراه، جامعة الجزائر2

eldine.kd@gmail.com

ملخص:

يسعى البحث لتقديم أهم الأسباب التي وقفت خلف إصدار وعد بلفور، ولعبت دورا مهما في إقدام الحكومة البريطانية على تحمل مسؤولية القيام بهذه الخطوة، والتي يمكن حصرها في:

- تأثير ظهور المسيحية المتصهينة: حيث دفع ظهور المذهب البروتستانتي وانتشاره في بريطانيا أساسا، وشيوع كثير من المفاهيم المرتبطة بالعقيدة الإنجيلية الجديدة، التي تجعل من إنشاء دولة إسرائيل مقدمة لعودة المسيح، كل بريطاني للعمل من أجل أن يعود اليهود لفلسطين.

- دور النخبة السياسية البريطانية المتهودة: وهم مجموعة سياسيين بريطانيين أمسكوا بمناصب حساسة في الدولة البريطانية طيلة القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، بعضهم ذو جذور يهودية، وبعضهم فقط متأثر فكريا بطروحات البيوريتان والإنجيليين، مثل تشارلز تشرشل وبنيامين دزرائيلي واللورد بالمرستون، ومثل لويد جورج وجيمس بلفور.

- دور عائلة روتشيلد: ومعروف دور هذه العائلة الثرية في صدور وعد بلفور، من خلال علاقاتها النافذة في بريطانيا وما قدمته من مساعدات ورشى للسياسيين البريطانيين.

- دور الثورة العربية: فلو لا مساهمة العرب الهامة في التحالف الغربي ضد العثمانيين، وفي سقوط فلسطين في يد البريطانيين، ما كان يجرؤ أي مسؤول بريطاني على إصدار هذا الوعد، وفلسطين بعدها تحت يد الخلافة العثمانية.

- الدافع الأمبريالي: وهو تفسير ينطلق من أسباب مادية علمانية بحتة، تجعل أهداف الإمبريالية الغربية الاقتصادية والسياسية هي الأساس، وتستبعد التفسير الديني والتاريخي.

الكلمات المفتاحية: بلفور؛ وعد؛ فلسطين؛ الحكومة البريطانية؛ لويد جورج، الصهيونية، اليهود، البروتستانتية؛ دزرائيلي؛ الإنجيليون؛ روتشيلد؛ إسرئيل؛ الصهيونية؛ الأمبريالية؛ الثورة العربية؛ عبد الوهاب المسيري؛ البيوريتان؛ حاييم وايزمان؛ سايكس؛ بيكو.

Abstract : The research seeks to present the most important reasons that stood behind the issuance of the Balfour Declaration, And played an important role in pushing the British government towards this step, Which are summarized in :

Effect of evangelical appearance : The emergence and spread of Protestantism in Britain mainly, And the spread of many of the concepts associated with the

doctrine of evangelism , Which makes the establishment of the State of Israel an introduction to the return of Christ, He pushed every Briton to work for the Jews return to Palestine.

The Role of the British Christian Zionist political elite: a group of British politicians, held sensitive positions in the British state throughout the nineteenth century and the beginning of the twentieth century, Some of them have Jewish roots, Some are only intellectually influenced by the Puritan and Evangelical views, Such as Charles Churchill, Benjamin Dzeraili and Lord Palmerston, and like Lloyd George and James Balfour.

Role of the Rothschild family: The role of this rich family is known in the Balfour Declaration, through its strong relations in Britain and its aid and bribes to British politicians.

The role of the Arab revolution: If the Arabs did not contribute significantly to the Western alliance against the Ottomans, and the fall of Palestine in the hands of the British, no British official would dare to make this promise, and then Palestine under the hands of the Ottoman Empire.

The imperialist interpretation: This interpretation stems from purely secular materialistic reasons, which make Western economic and political goals the basis, and exclude religious and historical interpretation.

key words : Balfour, Declaration, Palestine, British government, Protestantism, Christian Zionist, evangelism, Lloyd George, Dzeraili, Ottoman Empire, Arab revolution, Lord Palmerston, Rothschild, Israel.

مقدمة:

يمثل تاريخ 02 نوفمبر 1917 يوما أسودا مقيتا في تاريخ العرب والمسلمين باعتباره التاريخ الذي شهد إصدار وعد بلفور المشؤوم من قبل حكومة بريطانيا لجموع اليهود، بجعل فلسطين موطنا قوميا لهم يجمعهم من الشتات ويعيد بعث مشروع أمتهم الموعودة، الذي ظل عبر مئات السنين مجرد وهم ديني أقرب إلى السراب.

ولازال ليومنا هذا كثير من الخلاف يطبع نظرة المؤرخين للأسباب الحقيقية التي دفعت حكومة بريطانيا للمضي في هذه الخطوة، فبينما يذهب البعض لإعطاء تفسيرات أيديولوجية بحتة تتعلق بنشاط الصهيونية العالمية ودورها، لا يتجاوز آخرون فرضية الأهداف الأمبريالية الغربية العلمانية ومصالح بريطانيا السياسية والاقتصادية في المنطقة، وفي هذا البحث محاولة لإعطاء لمحة خاطفة على تلك الأسباب مجتمعة، فما هي هذه الدوافع التي وقفت خلف إصدار هذا الوعد ؟

1- المسيحية المتهودة:

يمكن أن ننطلق في التمهيد لدور الدين في صدور وعد بلفور بكلام توخمان(2004/1956،ص ص47، 48):

"لقد أصبح في أيامنا هذه تقريبا من المستحيل أن نقدر بإنصاف دور الدين في التاريخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي في الماضي، نحن لا نستطيع أن نحكم على دور الدين لأننا نفتقده، ، وإذا كانت انجلترا في القرن العشرين تتولى إعادة إسرائيل إلى فلسطين، فذلك لأن المحرك الرئيسي للقرن التاسع عشر في مجمله هو الدين".

لقد حمل القرن الخامس عشر ميلادي تحولات عميقة في الخريطة المسيحية الدينية والعقدية الأوروبية، مع ظهور حركة الإصلاح الديني على يد مارتن لوثر، وما نتج عنها من انشقاق داخل بنية المسيحية بشكل عام والكاثوليكية بشكل خاص، وخروج المذهب البروتستانتي الذي لا يدين اليهود بقتل المسيح (المعي، إ، 1993، ص67)، والذي أعاد الاعتبار لليهودية وللعهد القديم، بل اعتبر التوراة المصدر الوحيد للاجتهاد ولاستنباط الأحكام الدينية، مما جعل كثير من العقائد الدينية اليهودية البحتة تتسرب للبروتستانتية ويحصل تطابق بينها وبين اليهودية (السعدون، ح، دس، ص02).

وفي هذا السياق كتب مارتن لوثر سنة 1523 كتابا تحت عنون: "عيسى ولد يهوديا" قال فيه: "إن الروح القدس أنزل كل أسفار الكتاب المقدس عن طريق اليهود وحدهم، وإن اليهود هم أبناء الله" ، ودفع بثلاثة مبادئ من صميم اليهودية لتصبح من ركائز العقيدة البروتستانتية: - أن اليهود هم شعب الله المختار – وجود ميثاق إلهي أبدي يربط اليهود بالأرض المقدسة فلسطين، - ربط الإيمان بعودة المسيح بقيام دولة صهيون، وإعادة تجميع اليهود في فلسطين (السماك، م، 2004، ص ص34، 35).

كانت إحدى أبرز نتائج هذا الإصلاح الديني هي إحياء النص التوراتي وترجمته للغات الأوروبية الحديثة المتعددة، فدارت الكنيسة المسيحية الغربية دورة كاملة وعادت للأصول اليهودية، فبدأت النظرة لليهود تتغير، بل أضحت نبوءات التوراة وأساطيرها جزء أساسيا من ثقافة وضمير العصور الحديثة، بما فيها عقيدة عودة المسيح المخلص، والتي أضحت مرتبطة بشكل مباشر بعودة اليهود لفلسطين والتي ستكون سبب تجسيد وعد الله المنتظر (بلخضر، ك، 2006، ص137)، كما أن حركة الإصلاح الديني أعطت أهمية كبرى للغة العبرية باعتبارها اللغة الأصلية للكتاب المقدس، فحتى يفهم المؤمنون كلمة الله بشكل صحيح لا بد لهم من معرفة اللغة الأصلية التي كتب به، ونتيجة لذلك أصبح العلماء والمصلحون منكبّون على دراسة اللغة العبرية وتعلمها (الطويل، ي، 2011، ص33).

وبعد تهود المسيحية في شقها البروتستانتي وتشبعها بكل هذه العقائد، أصبح الإيمان بمساعدة اليهود في إقامة وطن لهم في فلسطين، نوعا من العبادة التي تعبر عن المشاركة في تحقيق الإرادة الإلهية (السعدون، ح، دس، ص02)، خصوصا مع بداية انتشار البروتستانتية في أوروبا ودخولها لميدان الصراع السياسي، وبداية ظهور أصوات تطالب بمساعدة اليهود للعودة لفلسطين، مثل ما فعل عالما اللاهوت الإنجليزيان "جوانا وأليزر كارترايت" سنة 1649 حين طالبا بأن يقوم الشعب الإنجليزي بإعادة أبناء

إسرائيل إلى الأرض التي وعد الله بها(السماك، م، 2004، ص39)، والتي اعتبرت أول محاولة بشرية للتدخل في الأمر الإلهي القاضي بعودة اليهود لفلسطين (المسيري، ع، 1999، ص138).

لقد تماهت حركة التطهريون "البيوريتان"، كليا مع الفكر الصهيوني اليهودي، وقام أحد قادتها "أوليفر كرومويل" بترسيم عودة اليهود لبريطانيا بعد أن حرمهم من ذلك الملك إدوارد سابقا، وقام بربط سياسة بريطانيا بكثير من مصالح اليهود، وأظهر حماسا لفكرة عودة اليهود لأرض الميعاد، وباتت أفكار المسيحية المتهودة هي من توجه قناعات الحكومات في كل الدولة البروتستانتية مثل ألمانيا وبريطانيا وهولندا (السماك، م، 2004، ص42).

فكثير مما قامت به بريطانيا لصالح اليهود ليس محض مصالح سياسية بل هو من صميم العقيدة الدينية التي تجعل العمل على قيام دولة إسرائيل واجبا دينيا، ولهذا فخلال القرن التاسع عشر والعشرين كان كثير من السياسيين في الحكومة البريطانية يعملون بجد على تحقيق مشروع أرض الميعاد، وتعالت أصواتهم بضرورة تهجير اليهود لفلسطين (شعبان، ف، 2003، ص 42-47)، وهذا أحد الأسباب المهمة التي جعلت الحركة الصهيونية تجرؤ على الظهور والصدح بمطالبها في العلن، واتخاذ لندن عاصمة لنشاطاتها، وكما تذكر مؤرخة متخصصة في هذا الشأن: "كل مبادئ الصهيونية غير اليهودية انبثقت من الثورة البروتستانتية في القرن السادس عشر" (الشريف، ر، 1985، ص165).

2- دور النخبة السياسية البريطانية المتصهينة:

"لم يكن لويد جورج وآرثر بلفور هما الوحيدين المؤيدين لأهداف الصهيونية في فلسطين قلبا وقالبا، ولكنهما كانا على رأس جيل كامل من الصهيونيين غير اليهود الذين كانت لكل منهم شخصيته المتميزة في الحياة العامة وفي الحكومة، فمارك سايكس وليوبولد أميري واللورد ملنر والميجور أورمبسي غور، وهربرت سايد بوثام وروبرت سيسل وج.ب.سكوت وغيرهم كثيرون كانوا من ذوي النفوذ المناصرون لسياسات الصهيونية" (الشريف، ر، 1985، ص165).

وقد وصلت الصهيونية غير اليهودية ذروتها خلال العقدين الأولين من القرن العشرين، وجاء وعد بلفور الذي واكب المرحلة الحاسمة للتعاون الصهيوني البريطاني، محصلة لذلك، وليحدد ويوضح سياسة الغرب وبريطانيا اتجاه فلسطين(الشريف، ر، 1985، ص174)، وهؤلاء أمثلة عن الصهاينة أو المتأثرين بالصهيونية من النخبة الإنجليزية التي قادت نحو وعد بلفور.

- **جورج جاولر، 1796- 1869:** قائد عسكري بريطاني مسيحي، حكم جنوب أستراليا (1838- 1841)، أخذ على عاتقه نشر الأفكار المرتبطة باستقرار اليهود في فلسطين، كان يرى أن اليهود هم شعب الله، وأن هذا التوطين سيتم في غضون بضعة أعوام (Pragal, M, 1985, p.22).

- **إدوارد متفورد:** ضابط مقرب من رئيس الوزراء بالمرستون، كان مسؤولا عن المكتب الاستعماري البريطاني، قدم سنة 1845 للحكومة البريطانية خطة نيابة عما أسماه الأمة اليهودية بخصوص السياسة البريطانية في الشرق، وتقترح الخطة التي قدمها: إيجاد أمة يهودية في فلسطين كدولة محمية تحت وصاية بريطانيا العظمى (محمود، أ، 1984، ص21).
- **تشارلز تشرشل، 1807 – 1869:** ضابط إنجليزي مسيحي، من أوائل من دعوا إلى عودة اليهود إلى فلسطين، ويعتبر تشرشل من أشهر الداعين لمشروع استيطان اليهود في فلسطين في منتصف القرن التاسع عشر (محمود، أ، 1984: 19، ص20).
- **بنيامين دزرائيلي، 1804- 1881:** من عائلة بريطانية ذات أصول يهودية سفاردية اعتنقت المسيحية، انتُخب عضواً في البرلمان عن حزب المحافظين سنة 1837، وفي سنة 1852 أصبح رئيساً لمجلس العموم، ثم رئيسا للوزراء سنة 1868، وفي الفترة ما بين عامي 1874 و1880 (Buckle, G, 1920, p.23)، لقد عرف بميوله الصهيونية، ويرجح أنه هو صاحب مذكرة من دون توقيع لمؤتمر برلين سنة 1878 تحوي برنامجا صهيونيا لحل القضية اليهودية، وبرز دوره الحاسم في خدمة اليهود في بسط نفوذ بريطانيا على المنطقة العربية من خلال شراء حصة مصر في قناة السويس واحتلال مصر بعد ذلك، وهو ما مهد لابتلاع فلسطين كلية (الشريف، ر، 1985، ص176).
- **اللورد شافتسبري، 1801- 1885:** من أهم الشخصيات البريطانية في القرن التاسع عشر فيما يخص الدعوة لإقامة كيان لليهود في فلسطين، من عائلة أنجيلكانية من كبار الملاك متعمقة في التدين، كان عضوا في حزب المحافظين، ونائبا في البرلمان البريطاني، ومنطلقاته في دعم القضية اليهودية دينية بحتة (محمود، أ، 1984، ص17).
- **اللورد بالمرستون، 1784- 1865:** وزير خارجية بريطاني ورئيس وزراء، كان من أشد المتحمسين لتوطين اليهود في فلسطين، ورأى في بعث الأمة اليهودية تقوية لمركز بريطانيا، وجه تعليماته لقنصل بريطانيا في القدس بحماية اليهود وممتلكاتهم (محمود، أ، 1984، ص17)، لكن دوافعه كانت سياسية وليست دينية، مثل شافتسبري (توخمان، ب، 2004، ص ص39، 40).
- **موسى مونتفيوري، 1784- 1885:** ثري ومالي بريطاني يهودي، زعيم الجماعة اليهودية في انجلترا ومن كبار المدافعين عن الحقوق المدنية لليهود في انجلترا والعالم، من أسرة بريطانية ذات أصول سفاردية استقرت في إنجلترا منذ القرن الثامن عشر، ارتبط بعائلة روتشيلد من خلال المصاهرة وحقق ثروة طائلة، كان ثاني يهودي يتولى منصب عمدة لندن وأول يهودي يتحصل على لقب سير، زار فلسطين عدة مرات، وكان مؤيدا وداعيا لتوطين اليهود في فلسطين، وحظي بمكانة متميزة عند المسؤولين البريطانيين (المسيري، ع، 1999، ص177)، وإن كان يختلف عن البقية بكونه يهوديا أصليا، لكن كان له دور يماثل أدوارهم.

- **جيمس بلفور، 1848- 1930 ولويد جورج، 1863- 1945:** كان بلفور ولويد جورج صهيونيين متحمسين، رغم أن أحدهما من المحافظين والثاني من الأحرار، بفضل تشابه خلفية كل منهما، فبلفور ترعرع في أسرة بروتستانتية اسكتلندية عميقة التدين والتعلق بالعهد القديم وتؤمن بضرورة عودة اليهود لنزول المسيح، وله معتقد؛ أن التاريخ أداة لتنفيذ هدف سماوي (الشريف، ر، 1985، ص160)، أما لويد جورج فله تاريخ مع اليهودية، حيث نشأ على يد خاله في مدرسة دينية تتطرف للعهد القديم، وكما يذكر هو شخصيا: "نشأت في مدرسة تعلمت فيها تاريخ اليهود أكثر من تاريخ بلادي، وبمقدوري أن أذكر أسماء ملوك إسرائيل، ولكني أشك إن كنت استطيع ذكر أسماء إنجلترا"(الشريف، ر، 1985، ص ص160، 161)، ومع وجود لويد جورج في رئاسة الوزراء وآرثر جيمس بلفور وزيرا للخارجية تغلغلت الصهيونية غير اليهودية في أعماق دوائر القرار البريطاني وتكوّن حشد من الشخصيات المختصة المخلصة في صهيونيتها (الشريف، ر، 1985، ص162).

3- دور عائلة روتشيلد:

يجب أن لا ينسى أبدا أن وعد بلفور صدر موجها لعائلة روتشيلد، ومبدوء بكلمة عزيز: اللورد روتشيلد (المسيري، ع، 1999، ص44)، فإن كان الدور الرئيسي والحاسم في صدور الوعد، لعبته الصهيونية العالمية، من خلال مؤسساتها وأفرادها، وإن كان من المؤرخين من يتحدث عن دور حاييم وايزمان عالم الكيمياء بمساعدته العلمية لحكومة بريطانيا أثناء الحرب العالمية الأولى، التي مكنتها من تصنيع بعض المتفجرات، فالدور يتجاوز ذلك، وأهم قطعة فيه كانت ما لعبه الفرع البريطاني من عائلة روتشيلد، حيث ساهمت أموالهم الضخمة في احتواء كثير من السياسيين البريطانيين، وفتحت الباب أمام قادة المنظمة الصهيونية مثل وايزمان للحصول على مكاسب سياسية.

فعائلة روتشيلد التي انطلقت من فرنكفورت في القرن السادس عشر على يد اسحاق أكانان، حققت مكانة رهيبة في عالم المال وسيطرت على المنظومة المالية الأوروبية، وتمكنت خلال القرن السابع عشر والثامن عشر من تكوين ثروة ضخمة والتحكم في البنوك والتغلغل في قلب الرأسمالية الغربية، وبموازاة ذلك تمكنت من الانخراط في المنظومة السياسية والتأثير فيها لدرجة لا تصدق (المسيري، ع، 1999، ص125).

يعتبر ماجيراشيل روتشيلد (1743-1812) هو من وسع نطاق العائلة في مجال البنوك، بعد أن حقق ثروة طائلة أثناء حروب الثورة الفرنسية من خلال عمله في بلاط الأمير الألماني وليام التاسع، وتفرق أبناؤه الخمسة بعد ذلك على بلدان أوروبا الرئيسية؛ انجلترا وفرنسا والنمسا وإيطاليا وألمانيا، وتوطنوا وأقاموا شبكة مالية كبيرة ومتشعبة. (المسيري، ع، 1999، ص125).

الابن الأكبر نيثان ماير روتشيلد (1777- 1836) هو من أسس فرع العائلة في انجلترا، وقد تزوج أخت زوجة موسى مونتفيوري، فمكنه هذا الزواج من التغلغل في الوسط اليهودي الإنجليزي، وقد تضخمت ثروة نيثان هذا خلال الحروب الأوروبية بين نابليون وخصومه، عبر استغلاله ظروف الحرب لتهريب السلع وتوفير التمويل للدول الأوروبية مقابل الفوائد، واستفاد من وجود أشقائه في دول أوربا الأخرى في تسهيل تداول الأموال والمعلومات بينهم، حيث مثلوا له وسيلة مثلى من أجل تحويل الأموال للحكومات الأوروبية، وكذلك في الحصول على الأخبار، لينشر ما يريد من معلومات، فأشاع هزيمة بريطانيا أمام نابليون، متسببا في تهاوي أسعار السندات ليشتريها بأبخس الأثمان ثم باعها فور وصول الأخبار الحقيقية بانتصار انجلترا ليجني ثروة غير مسبوقة.(المسيري، ع، 1999، ص125).

وبعد وفاة نيثان خلفه أكبر أبنائه ليونيل نيثان روتشيلد (1806- 1879)، أول يهودي يدخل للبرلمان الإنجليزي، وقد كانت له مساهمات مالية كبيرة للحكومة البريطانية، فقدم قرضا بقيمة 16 مليون جنيه إسترليني لتمويل حرب القرم، ووفر التمويل المناسب لصديقه دزرائيلي لشراء نصيب مصر في قناة السويس سنة 1875، وبظهور الحركة الصهيونية لم تتأخر عائلة روتشيلد عن دعم نشاطاتها بقوتها المالية الضخمة، من خلال فتح المدارس اليهودية للأطفال، وتمويل حركة الهجرة والتوطين (الشريف، ر، 1985، ص162).

وبعد وفاة ليونيل، تولى ناثانيل ماير روتشيلد (1840- 1915) إدارة بيت روتشيلد، وكان أول فرد في العائلة يحصل على لقب لورد، وجمعته صداقة بولي العهد "الملك اللاحق إدوارد"، وبلويد جورج وجيمس بلفور، وعرف عنه اهتمامه بالجماعات اليهودية ورحب بمشاريع هرتزل، وبعده جاء ابنه ليونيل والتر روتشيلد (1868-1937)، وقد دعم الجهود الدبلوماسية لكل من وايزمان وناحوم سولوكوف الرامية لإصدار تعهد بريطاني بإنشاء وطن قومي لليهود (المسيري، ع، 1999، ص126)، ورتب العلاقة بينهم وبين السياسيين الإنجليز المؤثرين "لويد جورج وجيمس بلفور" (روتشيلد، ج، 2017).

عندما تولى لويد جورج رئاسة الوزارة في ديسمبر 1916 بدأت الحكومة البريطانية تدرس جديا موضوع إصدار بيان عام عن السياسة البريطانية اتجاه فلسطين، واستهلت مفاوضات رسمية مع الصهيونية حول الموضوع، وكانت فلسطين آنذاك قد أصبحت محور مناورات الحرب العالمية الأولى السياسية المعقدة، وصارت هدفا للجيوش البريطانية بعد قيام الثورة العربية ضد العثمانيين (الشريف، ر، 1985، ص162).

إن كثير من المؤرخين والعديد من المصادر يشيرون لدور الصهيونية الحاسم في صدور هذا القرار، فقد كانت مسودات الوثيقة تنتقل بين صهاينة لندن ونيويورك، وتعرضت لكثير من عمليات التعديل، إلى أن تم التوافق على نص وعد بلفور النهائي، الذي مثل ما أورده أحد قادتها، نحوم سوكولوف

في كتابه تاريخ الصهيونية: "كل فكرة ولدت في لندن تم اختيارها من قبل المنظمة الصهيونية في أمريكا، وكل اقتراح في أمريكا تلقى الاهتمام الأكثر حذرا في لندن"، ومثل ما ذكر وايزمان: "دام إعداد إعلان بلفور ما يقرب من عامين، ، إن تأليفه لم يكن انفراديا وإنما جماعيا"، وأكد لويد جورج نفسه أن الإعلان؛ أعد بعد نظر كبير، ليس فيما يخص مضمونه السياسي فقط لكن في صياغته الفعلية (Jeffries, j, 1939, p.89).

وجاء كلام سليل عائلة روتشيلد الثمانيني، اللورد جاكوب روتشيلد، منذ أشهر ليؤكد هذا الكلام، فقد أجرى حوارا تلفزيونيا؛ وصف فيه الحصول على هذا الوعد ب" التحفة الانتهازية"، وذكر أن أقطاب عائلة روتشيلد كانوا منقسمين حول جدوى الفكرة وضرورتها، لكن تمكن وايزمان من الوصول إلى بلفور وإقناعه هو ورئيس الوزراء لويد جورج ومعظم أعضاء الحكومة بأهمية فكرة الوطن القومي لليهود (روتشيلد، ج، 2017).

وفاخر اللورد روتشيلد بدور ابنة عمه "دورثي" في كل ما تم، وما قامت به من جهد خرافي لتحويل الحلم إلى واقع، فقد كرست نفسها لخدمة الصهيونية وهي بعد في سن المراهقة، حيث اتصلت بالزعيم الصهيوني حاييم وايزمان وعرَّفته على كبار أعضاء الحكومة البريطانية وأرشدته إلى وسائل التغلغل في مفاصلها، وهو ما أتقنه وايزمان بسرعة، لينجم عن هذه المساعي الوعد المشؤوم (روتشيلد، ج، 2017).

ورغم تصريح لويد جورج عن فضل وايزمان في إقناعه: "لقد اهتديت على يديه، لقد حولني للصهيونية"(الشريف، ر، 1985، ص161)، وأن الوعد كان مكافئة له على دوره في المجهود الحربي، لكن الحقيقة أن ذلك مر على أكتاف عائلة روتشيلد وإمكانياتها الجبارة، فقد كان ثمن ذلك تدخل العائلة لضمان دخول أمريكا الحرب إلى جانب بريطانيا، ومن دون شك ضمان تمويلات مالية ضخمة (روتشيلد، ج، 2017).

4- دور الثورة العربية في صدور وعد بلفور:

رغم كل ما ذكر من عوامل ساهمت في صدور وعد بلفور المشؤوم لكن كان ينقص شيء حتى يكون الوعد ذو قيمة فعلية، فبقاء فلسطين في يد سلطة قوية، لم يكن يجعل من هذا الوعد سوى قرارا عابرا مثله مثل كثير من القرارات السابقة منذ عهد نابليون مرورا ببعض الوعود الألمانية بتمكين اليهود من أرض الميعاد (المسيري، ع، 1999، ص ص40، 41)، لكن وقوع فلسطين في يد بريطانيا بمساعدة الثورة العربية، هو ما جعل العصبة الصهيونية في المنظومة الحاكمة البريطانية تُقْدم على إصدار القرار، وفي السنة نفسها التي احتل فيها الجيش الإنجليزي فلسطين (Jeffries, j, 1939, pp.19-22).

ليس صعبا على المؤرخ والقارئ لمذكرات السياسيين البريطانيين في تلك الحقبة أن يهتدي لما يؤكد هذا الطرح، وهو أنّ احتلال فلسطين كان مقدمة لمنحها لليهود، ففي مذكرات لويد جورج: "احتلال

فلسطين كان إنجازا ذو أهمية على الصعيد العسكري والعاطفي، ، لقد شجع حلفاؤنا الأمريكان، ومن بين أهدافه كانت الأخوة العالمية الكبرى، العرق اليهودي، إن من الوفاء لوعد بلفور الذي صدر في نوفمبر 1917، تأيدنا إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين" (Lloyd, g, 1936, pp. 1091, 1092)، لقد كان الهدف هو جعل البلاد تحت الانتداب من أجل تسليمها للصهاينة، ولم يتأتى ذلك إلا بفصل فلسطين عن الدولة العثمانية عبر ثورة العرب وصداقتهم المزعومة لبريطانيا التي لم تشفع أمام العلاقة القوية مع الصهاينة (Jeffries, j, 1939, p.19).

لقد كانت اتفاقية سايكس بيكو صهيونية في أصلها، واجتهد المتفقون فيها على فصل فلسطين جغرافيا، وإعطائها صفة دولية معاكسة لوضع بقية المنطقة، وجاء الشرط الخاص بفلسطين إلى حد كبير ثمرة مذكرة هربرت صموئيل سنة 1915، التي اقترحها على الحكومة البريطانية بإنشاء محمية يهودية فيها، فأزاحت هذه الاتفاقية فلسطين من الرقعة التي وعدت بها بريطانية شريف مكة كدولة للعرب (الشريف، ر، 1985، ص170).

لقد كان كثير من الساعون في الاتفاقية صهاينة خلص، فسايكس تصهين على يد الحاخام اليهودي الروماني الدكتور موسى غاستر، وكما يذكر هو: فقد فتح عينيه على الصهيونية بعد أن عين في مجلس الحرب، وتأثر أيضا بصمويل هربرت، اليهودي الصهيوني الإنجليزي الذي كان أول مندوب سامي بريطاني في فلسطين (الشريف، ر، 1985، ص170، 171).

وجاءت اتفاقية فيصل وايزمان، التي عقدت بين حاييم وايزمان رئيس المنظمة الصهيونية وبين الأمير فيصل الأول ابن الحسين بن علي شريف مكة، بلندن يوم 03 جانفي 1919، لتمثل اعترافا وقبولا عربيا بوعد بلفور، وتكريسا لكل ما جاء فيه، وتعتبر إقرارا عربيا واضحا بحق اليهود في فلسطين، وبل ودعوة لليهود للهجرة إلى فلسطين، وتوضح هذه الاتفاقية إلى أي مدى ساهم دعاة الدولة العربية في ضياع فلسطين، وتبرز تواطؤهم مع اليهود والإنجليز (اتفاقية فيصل وايزمان، 1919).

5- الدافع الأمبريالي لوعد بلفور:

كثير من المختصين بالشأن اليهودي وممن أرخوا للصهيونية ولصدور وعد بلفور، مثل عبد الوهاب المسيري أو العقّاد، يتجاوزون عن فكرة الدافع الإيديولوجي، الذي يمكن أن يقف خلف إصدار الوعد، ويستبعدون نظرية التعاطف الغربي والشفقة اتجاه اليهود وما عانوه من اضطهاد، ويرفض المسيري أيضا فكرة أن يكون من أصدروا الوعد صهاينة أو متأثرين بالصهيونية، ويسفه فكرة أسطورة دور وايزمان ومكتشفاته العلمية (المسيري، ع، 1999، ص44).

وينطلق المسيري في تفسيره هذا من رؤيته العامة للصهيونية كمنتوج علماني غربي، صنعته الأمبريالية الغربية لأهداف سياسية واقتصادية بحتة، وما إسرائيل إلا دولة وظيفية أوجدت لاحتواء

الفائض اليهودي ونقله من أوروبا، ولعب دور القاعدة الاستعمارية في المنطقة بما يخدم أهداف بريطانيا ومحيطها الرأسمالي لا أكثر (المسيري، ع، 1999، ص ص17، 39)، ويذهب إلى هذا الطرح أيضا العقاد في كتابه الصهيونية العالمية، فيقول:

"فلا يخفى أنّ الاستعمار قد بدأ بالتجارة، وأنّ طريق الهند كان أهم الطرق التجارية في العالم القديم، ومن ثمّ كثر الاهتمام بفلسطين ومصر، وارتفع في المجامع الدولية صوت اليهود لاتصالهم في وقت واحد بالتجارة وبهذه البلاد، ، فلم ينظر إلى مطالب اليهود كأنها مطالب منفصلة تعنيهم وحدهم ويغارون عليهم من أجلهم، ولكنهم جعلوها من الوسائل المعول عليها في خدمة السياسة والاستعمار" (العقاد، م، 2013، ص15).

ويستبعد المسيري حتى فكرة الضغط الصهيوني ودور الجماعات اليهودية في بريطانيا، ويقول أن أعضاء الجماعات اليهودية في أوروبا لم يكونوا كتلة بشرية ضخمة، ولا شعبا مهما يتوجب مساعدته، ولا حتى قوة مالية بحكم أن أثرياء اليهود كانوا ضد الصهيونية ! ويدلل على كلامه هذا بسر نجاح اليهود في استصدار الوعد من بريطانيا وفشلهم في ألمانيا ؟ رغم وجود نفوذ صهيوني كبير في ألمانيا، وتوفرهم على ثقل مالي وسياسي، وانحدار جل قادة الصهيونية من ألمانيا، وعلاقة ألمانيا بتركيا التي كانت تحكم فلسطين، وحتى مشاركة اليهود في المجهود العسكري الألماني (العقاد، م، 2013، ص45).

وحتى صاحبة كتاب "الصهيونية غير اليهودية" ريجينا الشريف، لا تستبعد الدور المادي البحت كأحد دوافع هذا الوعد، وتجزم بتفاوت الأسباب بين حب اليهود والاهتمام بمصلحة الدولة واستراتيجية الحرب، وتتحدث عن توافق بين المصالح الاستعمارية البريطانية والصهيونية، وتورد نصا لصموئيل جولدج، وهو صهيوني من أمريكا الجنوبية في رسالة إلى هرتزل جاء فيه: "حاولت جهدي أن أقنع اللورد ملنر بأن ما يطلق عليه الاستعمار مطابق للصهيونية" (الشريف، ر، 1985، ص166).

وبالاعتراف بتلاقي المصالح الغربية ووجود فائدة إستراتيجية بريطانية من وراء مشروع توطين اليهود وصدور وعد بلفور، لكن إنكار العامل الإيديولوجي، ودور جماعات الضغط اليهودية في بريطانيا، وتأثير أرباب المال من أثرياء اليهود في ذلك، سيكون تزييف ظاهر للتاريخ، فحتى المسيري نفسه الذي يسعى جاهدا لإثبات علمانية القرار وإبعاد أي تفسير عدا الأمبريالي، يعود بعد صفحات قليلة في كتابه ليتحدث عن صهيونية جيمس بلفور، وأنه تلقى تعليما دينيا متشبع بتعاليم العهد القديم، ويذكر أن رؤية بلفور لليهود تنطلق من عقيدة شعب الله المختار واعتباره وسيلة للتعجيل بالخلاص! (المسيري، ع، 1999، ص48).

وليس من الصعب دحض طروحات المسيري أو غيره، فقوله أن هدف بريطانيا كان إيجاد رقعة جغرافية لإبعاد الفائض اليهودي، لا يستند لأي حجة علمية أو تاريخية أو سياسية قوية، فاليهود ليسوا

بذلك العدد الكبير في إنجلترا الذي يخشى منه، وهو نفسه يثبت هذا حين ينفي أنهم كانوا كتلة بشرية ضخمة وأنهم كانوا مصدر تهديد، كما أن تواجدهم الكثيف كان بأوروبا الشرقية، وبريطانيا لم يكن بها سوى الطبقة الأرستقراطية المالية المقتدرة منهم (المسيري، ع، 1999، ص45).

كما أن احتجاج المسيري بنجاح اليهود في استصدار الوعد من انجلترا وفشلهم في ألمانيا رغم قوتهم ونفوذهم في ألمانيا للتدليل على أن القضية ليست قضية ضغط بل مجرد مصلحة لمن أصدر الوعد، لا يقوم أيضا على أساس، وهو مناقض لكلام سابق له في نفس الجزء وقبل صفحات، عن وعود بلفورية كثيرة صدرت من فرنسا وألمانيا قبل وعد بلفور المعروف، وأحدها ما صدر باسم حكومة القيصر إلى هرتزل في سبتمبر 1898، وجاء فيه: "إن صاحب الجلالة على استعداد أكيد أن يناقش توطين اليهود مع السلطان، ، وقد أصدر جلالته أوامر تذلل الصعاب التي تواجه استقبال وفدكم" (المسيري، ع، 1999، ص41، 45).

وزيادة على هذا التناقض فهناك تبريرات لنجاح اليهود في استصدار وعد قابل للإنجاز من بريطانيا وفشلهم في الحصول على وعد واضح وحاسم ونافذ من ألمانيا، فبريطانيا استندت على وقوع الأرض تحت يدها، وأقدمت على الخطوة بعد استيلائها على فلسطين، مما جعل تحركها ذو قيمة فعلية مقارنة بفرنسا أو ألمانيا، كما لا ننسى أنّ الألمان في تلك الفترة كانوا حلفاء مخلصين للعثمانيين، ولم يكونوا يقدمون على خيانتهم مع اليهود، وإنما كانت جهودهم مجرد عمل دبلوماسي باستغلال علاقتهم الطيبة مع العثمانيين، والتي تنتهي بمجرد رفض السلطات العثمانية الصارم للموضوع.

ويبقى صدور الوعد باسم البارون روتشيلد؛ يدحض أي حجج عن كون الهدف الوحيد خلف الوعد هو مصلحة بريطانيا ومراميها الامبريالية، فلم تكن بريطانيا بحاجة لأي شعب ينوب عنها في تعمير بقعة جغرافية ما، وقد ملأ وعمّر الإنجليز أستراليا وجنوب أفريقيا وأمريكا، لكن دور الصهيونية كان واضحا وحاضرا، في صدور الوعد وفي قيام دولة إسرائيل.

خاتمة:

مثل صدور وعد بلفور منعطفا هاما في التاريخ المعاصر، واعتبر بداية فصل جديد في تاريخ اليهود، والحجر الأساس في مشروعهم الرامي لإقامة وطن قومي يجمعهم من الشتات، والذي سيقوم على اغتصاب أرض شعب وتهجيره منها، وقد اختلف المؤرخون حول الدوافع الحقيقية لصدور هذا القرار، وبينما ذهب البعض لحصرها في المصالح الامبريالية الغربية والأهداف الاستعمارية، التي تبحث عن قاعدة بشرية موالية تحمل ثقافة الغرب وتعمل على حماية مصالحه في المنطقة، إلا أن التاريخ يثبت أن الحقيقة تتجاوز ذلك، وأن مجموعة عوامل تضافرت لتمهد الطريق لصدور هذا الوعد المشؤوم.

ويمكن أن نعدد من هذه الدوافع: التغير العقدي الذي أصاب الدين المسيحي بظهور البروتستانتية، وأدى إلى نشوء شعوب مسيحية تؤمن بفكرة عودة المسيح المخلص التي لا تتم حتى تقوم دولة إسرائيل، ومن أجل ذلك لا بد أن تسعى هذه الشعوب وأهمها الشعب البريطاني، من أجل بعث هذا المشروع، يضاف لهذا تغلغل الصهيونية كتنظيم عالمي في مفاصل الدولة البريطانية، وتسلل عناصرها إلى المناصب الحساسة، مثل رئاسة الوزراء البريطانية، كما في حال شخص بنيامين درزائيلي.

ويبقى الدور الأهم هو الذي لعبته المنظومة المالية الصهيونية الجبارة ممثلة في الأخطبوط الأحمر الذي يحمل اسم روتشيلد، فاشترت الذمم ومهدت السبل وفتحت الأبواب أمام الناشطين السياسيين لتحقيق أهدافهم ونيل مطالبهم، فانطلق مشروع استراتيجي لابتلاع فلسطين، بدأ باحتلال مصر، ومر عبر فصل فلسطين عن الدولة العثمانية ثم وضع اليد عليها، وجاء وعد بلفور كتتويج لعمل طويل، منح من خلاله من لا يملك لمن لا يستحق أرض لها شعبها وتاريخها.

المصادر والمراجع:

❖ المراجع العربية.

- لمعي، القس إكرام (1993)، الاختراق الصهيوني للمسيحية، ط2، القاهرة: دار الشروق.
- محمود، أمين عبد الله(1984)، مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية وحتى الحرب العالمية الأولى، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- الميسيري، عبد الوهاب (1999)، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ط1، بيروت: دار الشروق.
- السعدون، حميد حمد(دس)، البروتستانتية والسياسة الخارجية الأمريكية وإسرائيل، جامعة بغداد: مركز الدراسات الدولية.
- السماك، محمد(2004)، الصهيونية المسيحية، بيروت: دار النفائس.
- العقاد، عباس محمود(2013)، الصهيونية العالمية، القاهرة: مؤسسة هنداوي للثقافة والعلوم.
- شعبان، فؤاد (2003)، من أجل صهيون، دمشق: دار الفكر.
- الشريف، ريجينا (1985)، الصهيونية غير اليهودية – جذورها في التاريخ الغربي، (ترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز)، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. (العمل الأصلي نشر سنة 1983)
- توخمان، باربارا (2004)، الكتاب المقدس والسيف إنجلترا وفلسطين منذ العصر البرونزي إلى بلفور، (ترجمة منى عثمان، محمد طه)، ط1، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية. (العمل الأصلي نشر سنة 1956)

▪ **رسائل الماجيتسير:**

- بلخضر ،كريمة (2006)، الأصولية السياسية المعاصرة من خلال الرؤية الصهيونية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر1 ، الجزائر.

- الطويل، يوسف عاصي (2011)، البعد الديني لعلاقة أمريكا باليهود وإسرائيل، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الأزهر، غزة، فلسطين.

▪ **مصدر إلكتروني:**

- روتشيلد جاكوب، شهادة حية (فيفري2017)، استرجعت يوم 05 ديسمبر 2017، من الموقع التالي:

https://www.youtube.com/watch?v=tk8g9GIIiuQ

- وثيقة معاهدة فيصل - وايزمان (03 جانفي1919)، استرجعت يوم 05 ديسمبر 2017 من الموقع التالي:

http://www.eretzyisroel.org/~samuel/feisal1.html

❖ **المراجع الأجنبية:**

- Buckle, George Earl (1920),The Life of Benjamin Disraeli, New York : The Macmillan Company.
- Jeffries, J. M. N,(1939) Palestine : The Reality,london: Longmans.
- Lloyd, David George(1936),war memoirs, , london: Odhams press limited.
- Pragai, Michael (1985): Faith and Fulfilment Christians and the Return to the promised land,Great Britain: Vallentine Mitchell and Company Limited, London.